آراء وافكار

—*—

« تأويل كلمات في تاريخ حلب »

في الكتب التاريخية الخصيصة بحلب — اسماء أعلام تحمل مؤلفوها بتأويلها فأفرغوها في قوالب عربية مع انها أعجمية محضة موضوعة على مسمياتها من قبل الامم الاعجمية التي كانت تقطن حلب وما يضاف اليها من الاصقاع قبل الفتح الاسلامي وهي كلمات كثيرة قد تتعذر الإحاطة بها و يصعب تحليلها على من لم يكن متضلعاً باللغة السريانية وغيرها من اللغات المتفرعة عن اللغة الآرامية .

وقد اقتصرت منها على خمس كلمات أوردتها كالنموذج لهذا الموضوع فأقول :

— الكلمة الاولى « حلب » —

هذه الكلمة علم على مدينتنا المعروفة ، وقد كثرت الأقاويل في تأويلها فمن قائل انها اسم اول بانٍ لهذه المدينة وهو (حلب بن مهر بن خاب) قلت هذا الاسم مما لم أره الا في بعض تواريخ حلب ، وقيل ان هذه الكلمة (حلب) جعلت علماً على هذه المدينة اخذاً من قول العرب (ابراهيم حلب الشهباء) حينما كان مقيماً في تلها قبل ان تبنى عليه القلعة فكان كل يوم يحلب بقرة له شهباء و يوزع لبنها على العرب المخيمين في جواره ، قلت ربما كان لهذا القول نصيب من الصحة اذا سلمنا بان العرب كانوا يترددون على هذه الاصقاع للامتيار وتسريح السوائم في مراعيها الخصيبة او انهم كانوا مقيمين فيها تحت مضار بهم جيراناً لاخوانهم الأراميين ، فقد صرح هيرودتس واسترابون وغيرهما من قدماء المؤرخين وبعض علماء هذا العصر — ان قبائل عديدة من بلاد العرب او من خليج العجم ارتحلوا الى سورية منذ قديم الايام اه . قلت فمن الجائز حينئذ ان يكون هذا الصقع عرف بهذا الاسم اخذاً من فعل الحليب وان كان له اسماء أخر عند غير العرب من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الامم التي كانت تقطن هذا الصقع الا ان صحة هذا التأويل تبقى موقوفة ريثما يثبت مجيء الخليل الى هذه الانحاء فلندعه موقوفاً في زوايا الاهمال حتى نظفر باثر يثبت مجيء الخليل اليها .

وقال بعضهم ان كلمة (حلب) محرفة عن هَلَبه وهو اسمها عند العمالقة وهو قول عجزنا عن اثباته . وزعم آخرون انها محرفة عن خَلَبه قال وهو اسمها عند اليونانيين وهو قول عارٍ عن الصحة فقد ثبت ان اليونانيين كانوا يسمونها (بَرُوَّا) وهو اسم احدى مدنهم في تراقيا ، سموها بهذا الاسم جرياً على سننهم في تسمية مايحتلونه من البلاد الاجنبية باسم احدى مدنهم الاصلية . ورأى حضرة المطران فرحات في قاموسه ان كلمة حلب معربة عن (ألبّ) منقولة عن اسم مجددها (البيوس) الشهير من وزراء يوليانوس العاصي ، قلت يعارض هذا الرأي ان (البيوس) وجد بعد المسيح عليه السلام وحلب كانت تسمى بهذا الاسم قبله في عهد بني اسرائيل فان الاستاذ منكه الفرنسي الجغرافي الشهير — سماها بهذا الاسم في خارطة بني اسرائيل عن اطلسه العام التاريخي . وأطلق كزانفون اليوناني تلميذ سقراط الحكيم كلمة حلب على الاصقاع الممتدة من اذنة الى الفرات .

رأيي في هذه الكلمة — والذي أراه في هذه الكلمة انها سريانية محرفة عن (حلبا) بالألف ومعناها البيضاء حذفت الفها بالاستعمال جرياً على قاعدة المتكلمين بالسريانية من انهم يحذفون أمثال هذه الالف بالتكلم ، وان انباع حلب بكلمة الشهباء التي معناها البيضاء المصدوعة بالسواد — مما وضعه العرب كالمرادف لكلمة حلب تفسيراً لها ، وان السريانيين كانوا يسمونها بهذا الاسم لما كان يشاهد للمقبل عليها من بياض ضواحيها التي تكثر فيها سباخ الملح خصوصاً ضواحيها الجنوبية الشرقية التي تبهر الناظر بلمعان سباخها ولاسيما إبان القيظ ولما كان يشاهد للقادم على حلب من بياض مبانيها التي كان معظمها يبنى بالحوار الابيض المأخوذ من مغاراتها الواسعة المنتشرة فيها وفي أطرافها كمغارة حارة المعادي وحارة الكلاسة وغيرهما من المغائر التي يطول الشرح بعدّها فكانت مناظر حلب لهذا السبب كمناظر مدينة عينتاب والرُّها وغيرهما من البلدان التي ما برحت عمائرها تبنى بالحوار حتى الآن .

كانت مباني حلب تبنى كلها من هذه المادة سوى مباني الحصون وبعض مباني المعابد ومنازل الحكماء والامراء وذوي الثراء وسبب ذلك كثرة ما تتطلبه المباني الحجرية من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المال الكثير والعناء الشديد في قطع الحجارة وقلعها من مناجمها فان اهل هذه الحرفة قبل ان يستعملوا البارود في نسف الصخور والجنادل على طريقة (اللغم) المعروفة كانوا يحطمون صغارها بالمعاول والصواقير و يحزون كبارها بالمحز و يسفنونها بورق الحديد فيصرفون في ذلك أموالاً طائلة و يتكبدون من الضيق والعناء ما لا مزيد عليه .

— الكلمة الثانية « قويق » —

هذه الكلمة علم على نهر حلب وفيه يقول الشاعر الصنوبري :

قويق على الصفراء ركب جسمه فما لهب القيظ الأليم يوافقه
اذا جد جد الصيف غادر جسمه ضئيلاً ولكن الشتاء يرافقه

قال ابن الشحنة نقلاً عن ابن شداد — يريد الصنوبري بهذا ان اصحاب الامزجة الصفراوية تنحل أجسامهم في الصيف ويوافقهم الشتاء وان قويق يقل ماؤه في الصيف حتى يصير حول المدينة كالساقية ، قال ابن الشحنة وقد فهمت من هذا امراً وراء ماذكره ابن شداد وهو ان قويق تصغير قاق وهو يخالف طبعه الحر فيكون في الصيف غاية في الضعف وفي الشتاء غاية في النشاط اه . هذا ما استنبطه ابن الشحنة من بيتي الصنوبري ، ومراده بالقاق الطائر المعروف بالغراب الأبقع المكني بابن دأية .

وقال ياقوت في كتابه معجم البلدان لما تكلم على هذا النهر قويق كأنه تصغير قاق وهو صوت الضفدع ولذا قال شاعرهم وأورد البيتين الاخيرين من هذه القطعة وهي :

قويق اذا شم ريح الشتا ء اظهر تيهاً وكبراً عجيبا
وماثل دجلة ثم الفرا ت بهاءً ولطفاً وحسناً وطيبا
وان اقبل الصيف ابصرته ذليلاً حقيراً حزيناً كئيبا
اذا ما الضفادع ناديته قويق قويق ابى ان يجيبا
وتمشي الجرادة فيه فلا تكاد قوائمها ان تغيبا

فهذان تأويلان لكلمة قويق ، وهناك تأويل ثالث ربما كان أسخف منهما ، وهو ماذكره صاحب سالنامة ولاية حلب المطبوعة سنة ١٣٠٠ فقد زعم ان هذا النهر أضيف الى اسم الذي جرّه من منبعه الى حلب وهو قويق اغا احد زعماء التركمان في دارة العمق المدفون في تربة سوق الخيل بحلب ، أقول هذا النهر من جملة الانهار الطبيعية الجارية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بطبعها التي لم يجرها احد من منابعها وان المدفون في التربة المذكورة أرغون نائب حلب لا غير وان قو يق الذي زعمه صاحب التقويم السنوي عنقاء مغرب لا ذكر له في كتاب ولا سمعنا به من احد .

رأيي بهذه الكلمة — أرى ان كلمة قو يق محرفة عن (قوَق) كلمة يطلقها الاتراك على شجر (الحور) وهو شجر ابيض اللحاء يطول باستقامة نحو عشرين متراً او اكثر ومنه نوع تعمل من صمغه الكهرباء .

بيان ذلك ان هذا النهر كان ولم يزل يغرس على أطرافه في أوائله من بلاد عينتاب — شجر الحور فينمو وينجب و يباع منه الكثير في البلاد القر يبة من عينتاب فعرف به هذا النهر وأضيف اليه وقيل باللسان التركي (قوق نهري) ثم نقل الى اللغة العربية فقيل (نهر قوق) ثم حرفت الكلمة الثانية فصار نهر قو يق و ترجمتها بالعربية (نهر الحور) .

ومما يؤيد ان كلمة قو يق تحر يف (قوق) التركية انه يوجد في مدينة عينتاب التي هي اول مصدر للينابيع التي يتكون منها هذا النهر — مستنقع عظيم معد منذ القدم لغرس شجر الحور معروف حتى الآن باسم (قوقلق) اي مغرسة الحور او (محورة) كان هذا النهر يسمى قديماً (شالوس) ، وقال (دارفيو) : احد قناصل الدولة الفرنسية بحلب في حدود القرن الحادي عشر ه في كتابه الذي سماه (تذكره اسفاري) — كان هذا النهر يسمى (سيغا) او (سيكويم) وانه كان يسمى قبلاً (بيلوس) اه . وسماه (كرانفون) اليوناني (خالس) . قال وهو نهر صغير فيه أنواع من السمك والسوريون يحسبونها آلهة ولا يسمحون بصيدها لاحد .

والذي يغلب على ظني ان اول مرة أضيف هذا النهر الى كلمة قوق كان في ايام الدولة الطولونية التي هي اول دولة تركية حكمت في حلب بعد الفتح الاسلامي فان هذا الاسم للنهر لم نره في شيء من النظم والنثر أقدم من كلام الشاعر البحتري الذي استغرقت حياته جميع ايام الدولة الطولونية ، فلعل أسماءه القديمة التي ذكرناها نسيت او هجرها الناس استثقالاً لها فاعتاضوا عنها باسمه الجديد .

— الكلمة الثالثة « بانقوسا » —

هذه الكلمة علم على ناحية في ظاهر مدينة حلب فسيحة الاكناف متيرامية الاطراف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كانت قبل القرن السابع للهجرة ذات اشجار ملتفة وادواح محتبكة ، منها يستمد اهل حلب ما يعوزهم من الأخشاب المتنوعة ، وكانت من جهة أخرى تعدّ من جملة متنزهات حلب كما تشير الى ذلك اشعار البحتري والصنوبري وغيرهما من الشعراء وكما يظهر من عبارات المؤرخين حين تكلمهم عن الحروب الناشبة بين سيف الدولة وبين كافور الاخشيدي الذي كان يقطع الاشجار التي اشتهرت حلب بكثرتها قال البحتري :

اقام كل ملث القطر رجاس ... على ديار بعلو الشام ادراس
فيها لعلوة مصطاف ومرتبع ... من بانقوسا و بابلى وبطياس

وقال الصنوبري :

وللظهر من حلب منزل ... تشاب العيون على حجه
اعد نحو جوشنه نظرة ... الى سمتـه والى برجه
الى بانقوسا وتلك التي ... حكت راكباً لاح من فجه
لترتاح نفسك من دوحه ... ويمرح طرفك في مرجه

وقال من قصيدة أخرى :

حبذا البا آت باءت ... وفويق ور باها
بانقوساها بهـا ... باهى المباهي حين باها

وقال مجد الدين بن اسماعيل الآمدي :

سقى الله وادي بانقوسا من الحيا ... سماءً يروي تربها ويصيب

تأويل العامة لهذه الكلمة — يزعم العامة من اهل حلب ان هذه الكلمة مركبة من كلمتين احداها (بان) والاخرى (قوسها) اي ظهر قوسها ويحكون في ذلك حكاية طويلة خلاصتها ان حرباً قامت على ساق بين اهل حلب وبين الروم وكثرت القتلى من الحلبيين حتى خاض المتحاربون الدم وان الروم بينما كادوا يحرزون الغلبة على الحلبيين ويفنونهم عن آخرهم اذ ظهرت في أخريات جيش اهل حلب فتاة كانت معروفة عندهم بالفروسية والشجاعة واخذت تلوح للحلبيين بقوسها كأنها تشجعهم فاستبشروا بظهورها وقويت عزائمهم وتنادوا فيما بينهم (بان قوسها ، بان قوسها) وكروا على الروم فهزموهم ومزقوا جموعهم شر ممزق ومن ذلك التاريخ جعلت هذه الكلمة علماً على تلك الناحية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تأويل اقل قيمة من افصوصة خرافية ، اما كان من الواجب فيها ذكر تاريخ تلك الواقعة العظيمة وبيان اسر فتاتها الباسلة والاشادة بذكرها كما اشاد الفرنسيون بذكر فتاتهم جاندارك فان مثل هذه الفتاة جديرة بان تخلد ذكرها في صفحات التاريخ .

وهناك تأويل آخر لكلمة بانقوسا اشد بطلاناً من التأويل الاول لان القائل به يزعم انبانقوسا نبي من انبياء الله العظام ، وذلك انه يوجد في جامع بانقوسا الشهير بحلب — ضريح يزوره الناس ويتبركون به لانه نقش على سنامه الحجري هذه العبارة :

« يا حضرة نبي الله بانقوس على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام قد اخبر بهذا العلامة الشيخ مرتضى الدين الزبيدي شارح الاحياء والقاموس . قال شيخنا العلامة الشيخ احمد التكمجي نزيل مصر ان الشيخ مرتضى اماء في علم التاريخ » اه .

اقول الشيخ مرتضى هذا هو العلامة محمد الشهير بمرتضى الدين الزبيدي المتوفى في القاهرة سنة ١٠٩٦ وقد تصفحت شرحه على الاحياء من اوله الى آخره فلم أظفر فيه بذكر لنبي الله بانقوسا ، كما انني لا أعرف نبياً بهذا الاسم ولا ادري اين قال الشيخ مرتضى ان بانقوسا اسم نبي ، وانما قال في شرحه على القاموس فيما استدركه على مادة بنا قيس بنقوسا جبل في ظاهر حلب ، واستشهد على قوله بابيات البحتري التي اسلفت ذكرها ، فلو كان مرتضى الدين هو القائل بان بانقوسا نبي من انبياء الله لكان ذكره اياها في هذا المحل اولى من ذكرها في غيره لانه كان يجعلها استدراكاً على صاحب القاموس كما جرت عادته في ذلك .

رأيي في هذه الكلمة — ارى في هذه الكلمة (بانقوسا) انها محرفة عن كلمة سريانية هي (بيت نقوشا) اي بيت الناقوس حذفت من الكلمة الاولى الياء وأبدلت التاء بالالف كما هو قاعدة النقل من السريانية الى العربية كباصفرة و بابنس اي بيت صفرة وبيت بنس وقلبت الشين سيناً كما قلبت في قنشرين فصارت (بانقوسا) وربما استدل بهذا على ان جبل هذه الناحية في ايام سكنى الكلدانيين في حلب كان موضع الناقوس .

ومما يؤيد ان المراد من هذه الكلمة ماذكرته انه يوجد من القديم في حارة من حارات حلب اسمها الشرعسوس — حوض يعرف باسم قسطل (بنقوس) فهل كان الداعي لتسمية هذا الحوض بهذا الاسم ظهور فتاة باسلة ام هل مدفون في جواره نبي الله بانقوس حتى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سمي بهذا الاسم ، كلا بل هو لم يضف الى بنقوس الا لأن في جواره معبداً قديماً نصرانياً علق عليه الناقوس .

الكلمة الرابعة « المعرة » — هذه الكلمة علم على مدينة معرة النعمان ، قال ياقوت في كتابه معجم البلدان لما تكلم على هذه البلدة « المعرة تأتي بمعان مختلفة وهي الشدة وكوكب في السماء دون المجرة وتلون الوجه من الغضب والمعرة في الآية معناها جناية كجناية العر وهو الجرب » اه .

قلت لايخفى ان هذه البلدة لايوجد لها صفة تؤهلها لان ينطبق عليها احد هذه المعاني ولذا ارى ان كلمة معرة سريانية الاصل محرفة عن (مَعَرْتا) فتصرف بها العرب كما تصرفوا بغيرها من الكلمات الاعجمية وان معنى هذه الكلمة المغارة سميت بذلك لوجود عدة مغارات فيها كانت معدة لاحراز ماء المطر ، وهكذا يقال في معارة (معرة) مصرين البلدة المعروفة ومعنى مصرين في السريانية (الامطار) يدل على صحة ماارآه وجود عدد عظيم من المغائر في هذه البلدة ايضاً .

خاتمة — كل رأي ابديته في هذه المقالة ينبغي حمله على الأذكان فلست اصر عليه اذا قام البرهان على خلافه اذ لا ضالة لي أنشدها سوى بيان الحقيقة ، والله يهدي الى سواء السبيل .

كامل الغزي
عضو المجمع العلمي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net